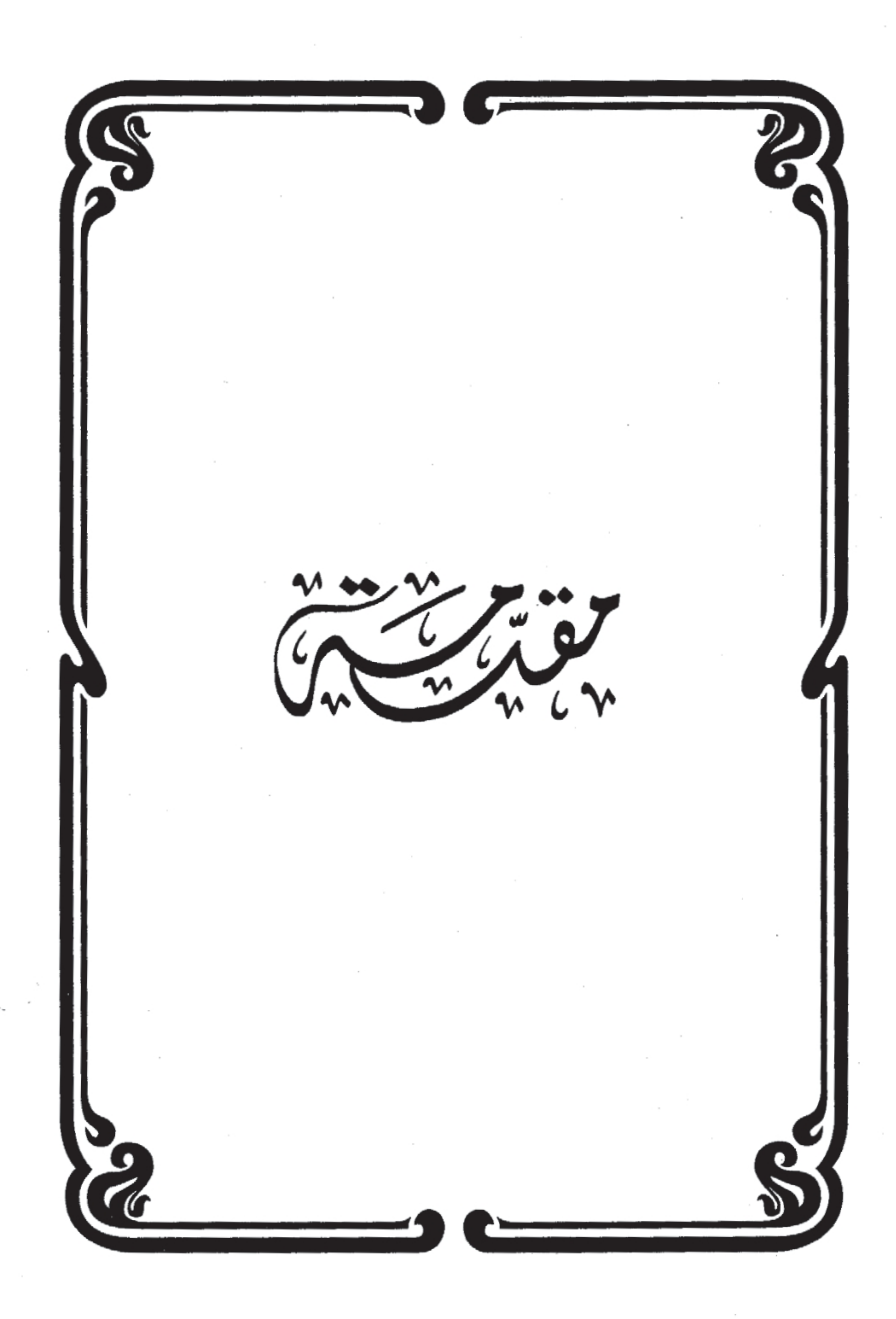

مقدمة



إنَّ الحمد للَّه، نحمده ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ باللَّه من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهد اللَّه فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا اللَّه وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً ﴾ [النساء: ١].

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً (٧٠) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيماً ﴾ [الأحزاب: ٧٠، ٧١].

● الحمد للَّه الذي قصم بالموت رقاب الجبابرة، وكسر به ظهور الأكاسرة، وقصّر به آمال القياصرة الذين لم تزل قلوبهم عن ذكر الموت نافرة، حتى جاءهم الوعد بالحق فأرداهم في الحافرة، فنُقلوا من القصور إلى القبور، ومن ضياء المهود إلى ظلمة اللحود، ومن ملاعبة الجواري والغلمان إلى مقاساة الهوامّ والديدان، ومن التنعم بالطعام والشراب إلى التمرغ

في الوحل والتراب، ومن أنس العشـــرة إلى وحشـة الوحدة، ومن المضجع الوثـيـر إلـى المصرع الوبـيـل. فانـظر هل وجدوا مـن الموت حصنًـا وعزّا، واتخذوا من دونه حجـابًا وحرزًا، وانظر: ﴿**هَلْ تُحِسُّ مِنْهُم مِّنْ أَحَدٍ أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزًا**﴾ [مريم: ٩٨]. فسبحان من انفرد بالقهر والاستيلاء، واستأثر بالملك والبـقاء، وأذلّ أصناف الخـلق بما كتـب عليـهم من الفـناء، ثم جعـل الموت مخلـصًا للأتقياء، ومـوعدًا في حقهم لـلقاء، وجعل القـبر سجنًا للأشـقياء وحبسًا ضيّقًا علـيهم إلى يوم الفصل والقضاء، فله الإنعام بـالنعم المتظاهرة، وله الانتقام بالنقم القاهرة، ولـه الشكر في السماوات والأرض وله الحمد في الأولى والآخـرة، وصلى اللّـه على رسولـه محمد ذي المـعجزات الظـاهرة والآيات الباهرة، وعلى آله وأصحابه وسلم تسليمًا كثيرًا.

● أما بعد:

فجديـر بمن الموت مصرعـه، والتراب مضجعـه، والدود أنيسه، ومـنكر ونكير جليسه، والقبر مقرّه، وبطـن الأرض مستقرّه، والقيامة موعده، والجنة أو النـار مورده، أن لا يـكون له فـكر إلا فـي الموت، ولا ذكـر إلا له، ولا استعـداد إلاّ لأجله، ولا تدبـير إلا فيه، ولا تطـلّع إلا إليه، ولا تـعريج إلا عليه، ولا اهتمام إلا به، ولا حول إلا حـوله، ولا انتظار ولا تربص إلا له، وحقيق بأن يعدّ نفسه من الموتى، ويـراها في أصحاب القبور، فإن كل ما هو آت قريب، والبعيد ما ليس بآت»[1].

● فيا بن آدم:

عسكر الموتـى ينتظرونك، ولقد جـمعت جمعي هذا نذيـرًا لك، موقظًا

(١) «إحياء علوم الدين» للغزالي (٤/ ٤٧٥).

لك من غفلتك فلا تتعامى عن مصرعك، فإن النَّفَسَ قد يخرج ولا يعود، وإن العين قد تطرف ولا تطرف الأخرى إلا بين يدي اللَّه عز وجل.

ذكرت في هذا الجمع الموت وسكراته، وعلامات حسن الخاتمة وأسبابها، وعلامات سوء الخاتمة وأسبابها، وأحوال الفائزين الذين سبقت لهم الحسنى عند الموت، وأحوال الغافلين النُّوَّم من العصاة، وجنازات الصالحين فكم فيها من آيات. ورحم اللَّه إمام أهل السنة أحمد بن حنبل حين يقول: قولوا لأهل البدع بيننا وبينكم يوم الجنائز، ثم ذكرت رحلة الروح معلّقًا عليها، ثم ذكرت محلة الأموات.

من القبور المقفرة العرصات، وعظاتها الظاهرة، وضمّة القبر وفتنته.

ثم عرّجنا في المجلد الثاني إلى عقيدة السلف من السادات، ثم العقائد الفاسدة لأهل البدع، أو الزنادقة، ثم مواعظ في قصر الأمل وذكر الموت.

ثم عرجنا على دور الشعر الباكي فكم سُكبت العبرات عند ذكر الموت في بيت شعر صادق. ثم طفنا في الروضة الندية من فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية.

وافتتحنا المجلد الثالث بفتاوى العلماء العاملين عن الموت وذكرنا الأحاديث الضعيفة والموضوعة، ثم الترهات من قصص الأموات، ثم ختمنا هذا الجمع بموعظة من بيت النبوة.

وهذا الكتاب قد اجتهدت في جمعه وترتيبه، وتفصيله وتبويبه، فيا أيها الحبيب الناظر فيه لك غنمه وعلى جامعه المسكين غرمه، ولك صفوه، وعلى الجاهل المفرط كدره. وهذه بضاعته المزجاة تعرض عليك، وبنات أفكاره وجمعه تزفّ إليك، فإن صادفت كفؤًا كريمًا لم تعدم منه إمساكًا بمعروف أو

تسريحًا بإحسان، وإن كان غيره، فاللَّه المستعان فما كان من صواب فمن الواحد المنّان، وما كان من خطأٍ فمني، ومن الشيطان. واللَّه بريءٌ منه ورسوله. فإنما نحن قوم مساكين.

العلم للرحمن جلّ جلاله وسواه في جهلاته يتغمغمُ
ما للتراب وللعلوم فإنما يسعى ليعلمَ أنه لا يعلمُ

* * *

فرحم اللَّه رجلاً أهدى لي عيوبي، واللَّه من وراء القصد.

* * * * *
* * *
*

وكتبه الفقير خليفة الأموات

ومأكول التراب غدًا

سيد بن حسين العفاني